



The Dialectic of Center and Periphery: The Birth Pangs of the Concept and the Determining's of the Libyan Situation from a Philosophical and Cultural Perspective

Nasser Al-Shaalali

Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Zawia, Zawia, Libya

EMAIL: na.aboulqasim@zu.edu.ly

<https://orcid.org/0009-0004-3714-5163>

Received:02 /06/2026 / Accepted:17/06/2026 Available online:21/06/2026.DOI:10.26629/UZRHJ .2026.04.

ABSTRACT

This research examines the nature of the dialectical relationship between what is central and what is marginal. The relationship between them represents one of the most important problems that philosophical thought, in its intellectual and social aspects, has been addressing and attempting to resolve. This research is likely to clarify the nature of the dialectical situation between the center and the periphery, which we live amidst, and which also directly and consciously affects human societies in a way that may lead to the fragmentation of their cultural, social, and political fabric and their economic potential. This is due to an important consideration that the dialectical conflict between them is between two contrasting models in society: the model of the center, which possesses the elements of power, and the model of the periphery, which complains of a lack of potential, enslavement, and social marginalization.

Keywords: Center-Margin-Dialectic Relationship-Similarity and Difference-The Libyan Case.



جدلية المركز والهامش

مخاضات المفهوم وتعيّات الحالة الليبية من منظور فلسفي ثقافي

ناصر الشعلاي

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا

إيميل: na.aboulqasim@zu.edu.ly

أوركيد: 0009-0004-3714-5163

تاريخ النشر: 2026/06/21

تاريخ القبول: 2026/06/17

تاريخ الاستلام: 2026/06/02

ملخص البحث

ينظر هذا البحث في طبيعة العلاقة الجدلية بين ما هو مركزي وما هو هامشي ، فالعلاقة بينهما تمثل واحدة من أهم الإشكاليات التي دأب الفكر الفلسفي في مناه الفكر والاجتماعي على تناولها ومحاولة معالجتها، ومن المرجح أن يعمل هذا البحث على توضيح طبيعة الحالة الديالكتيكية بين المركز والهامش التي نعيش بين تروسها، والتي تؤثر أيضاً على نحو مباشر وواع على المجتمعات البشرية بشكل قد يؤدي إلى تفتت نسيجها الثقافي والاجتماعي والسياسي وإمكاناتها الاقتصادية، وذلك لاعتبار مهم يتمثل في كون الصراع الديالكتيكي بينهما يقع بين نموذجين متباينين في المجتمع: نموذج المركز ، وهو الذي يمتلك مقومات السلطة، ونموذج الهامش الذي يشككي قلة الإمكانيات والاستعداد والتمهيش الاجتماعي .

كلمات مفتاحية: المركز- الهامش – العلاقة الجدلية- التماثل والاختلاف- الحالة الليبية.

مقدمة

شكلت طبيعة العلاقة بين الهامش والمركز واحدة من أهم القضايا الجوهرية في الأنساق الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية المعاصرة ، وقد كان لكثير من الدراسات فضل السبق في الالتفات إلى الهامشي والمهمش والمتباين والمغيب ، بغية إدراك طبيعة العلاقة التي تربط بين الهامشي والمركزي ، نظراً للطبيعة الارتباطية التي تحكم بينهما ، إذ ليس من السهل فهم الهامش دون استحضار النقيض الذي أوجده أو على الأقل الذي كان سبباً له وهو (المركز) .

إن فكرة المركز والهامش هي فكرة مستقاة من الجغرافيا والسياسة أو ما يعرف بالمجال السياسي ، وهناك من يرى أن مجرد الحديث عنهما يستحضر أيضاً في ذهن الحديث عن الدائرة في الهندسة الإقليدية التي تتكون من المحور والهامش أو المركز والتخوم أو الحدود .

إشكالية البحث

يثير موضوع هذا البحث إشكالاً بنويماً وفلسفياً يتمحور حول طبيعة العلاقة الاستشكالية بين المركز والهامش، ويتمثل هذا الإشكال في جملة من الأسئلة التي يهدف البحث إلى الإجابة عنها ، وقد تم صوغه على النحو التالي : ما تمثلات المركزية والتهميش ؟ وما الآليات التي يستخدمها المركز للسيطرة على المهمش أو إقصائه ، ما البناء الفلسفي لفكرتي الهامش والمركز ؟ وما نوع العلاقة التي تحكمهما ؟ وهل يمكن أن يتماهى أحدهما في الآخر أم سيظلان على الدوام يقعان على طرفي نقيض ؟ ما تأثيرات هذه العلاقة على الواقع السياسي والاجتماعي والإنساني ؟ وهل مثلت بعض الآراء الفلسفية المعاصرة منطلقاً لردم الهوية بين المركزي والهامشي أم بقيت مجرد آراء وأفكار بعيدة عن واقع العلاقة بينهما ؟ وهل كانت الحالة اليبية في تمثلات هذه العلاقة حالة مماثلة لغيرها أم مخالفة ؟

أهمية البحث

تظهر أهمية هذا الموضوع في كونه يكشف عن لحظة الصدام الدائمة بين الهامشي والمركزي، ويظهر المدى الذي يتسع للإشكال المصاحب لجدلية الصراع بينهما، ولأهمية البحث في طبيعة ارتباطهما آتربا التعرّيج على بعض الإشكالات التي طرحت في سياقات هذه العلاقة.

أهداف البحث

- يهدف البحث إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة، وهي :
1. إظهار حقيقة العلاقة الجدلية بين الهامش والمركز .
 2. التركيز على بعض الآراء الفلسفية التي حاولت رتق الشق الناتج عن صراع الهامش والمركز .
 3. التعرّيج على الحالة اليبية بوصفها حالة يتجلى فيها هذا الصراع وتعييناته .

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على تشريح بعض الأفكار الفلسفية التي تتناول العلاقة الجدلية بين الهامش والمركز، لذلك فإن الأداة التي فرضتها الضرورة المنهجية والمنطقية جعلتنا نجمع بين المنهجين التحليلي والنقدي .

أولاً: مخاضات المفهوم (نماذج لآراء فلسفية معاصرة)

يشير هذا المخاض إلى ولادة بعض الرؤى حول إثنية المركز والهامش، وتضاد المفهومين وتصارعهما، فبرغم بساطة المفهومين من حيث التصور اللغوي أو النطق اللساني إلا أنهما يعدان من المفاهيم الأكثر غموضاً وتعقيداً وديالكتيكية وذلك لتشعبهما في كثير من الحقول والمجالات السياسية والاقتصادية والثقافية

والاجتماعية ، وبعيداً عن التأسيس اللغوي للمفهومين الذي يمكن العثور عليه في كثير من معاجم اللغة وقواميسها ، فإننا نركز على البعد الدلالي للمفهومين وعلاقتها المتشابكة مع غيرهما من المفاهيم ، فهما اصطلاحياً يدفعان نحو تعزيز التضاد بينهما، بل يشرحان بما لا يدع مجالاً للشك طبيعة هذا التضاد بين علاقتي القوة والضعف ، الجذب والإقصاء ، التضافر والتنافر ، فطبقاً للمفهوم الاجتماعي مثلاً تتجلى علاقة المركز والهامش في التقسيم الطبقي للمجتمع حيث توجد طبقة الأسياد التي تمثل المركز وطبقة العبيد التي تقع في دائرة الهامش ، وكذلك في طبقة الأغنياء التي تمثل المركز أو المحور وفئة الفقراء التي تكون عادة في الهامش والإقصاء ، وهذا التجلي الذي يمنح كل فئة موقعها ينتج عنه الاختلاف والتباين في طرق العيش وأساليب الحياة، فتخلق عادات خاصة بالأكل والشرب والمأكل والملبس وطريقة تناول والسكن وغيرها، ومن ثم " لا يمكن للطبقة الأدنى أن تمارس عادات الأسياد ، لتميزها الطبقي، ولاختلافها الاجتماعي والاقتصادي؛ لكنها تتقاطع معها في بعض الحالات وخاصة في المجتمعات الإسلامية حيث تتقارب العادات والتقاليد بحكم الدين ، فتصبح هذه العادات حكراً على طبقة الأسياد ، وتقوم طبقة الهامش بخلق عادات تلائم طريقة عيشها وأوضاعها الاقتصادية " (الباح،2012، ص.299)، أما من المنظور الاقتصادي فعلى سبيل المثال فإن التقدم التكنولوجي أو الصناعي كفيل لفتح الباب أمام وضع الدول المتقدمة تقنياً واقتصادياً في المركز، بينما تعتمد الدول التي تتكون خارج هذا التصنيف على الاستهلاك والتأخر البيداغوجي (التربوي أو التعليمي)، مما يجعلها دول تابعة ومهمشة، وبالتالي تقع في التصنيف الهامشي أمام ما هو مركزي ، وهو في حقيقته تقسيم يمكن وصفه بالاستعماري فرضته الدول المنتصرة والقوية وهي التي تعد دول المركز " حيث تصدر دول المحيط مواد غذائية زراعية ومواد خام ، مقابل سلع مصنعة تصدرها دول المركز وتنتجها بطرق علمية متقدمة ، واستمر هذا التبادل إلى يومنا هذا في حين تشهد دول المركز تقدم تقني سريع ، مازالت دول الهامش تعتمد على البترول والمواد الخام " (الباح، ص.299-300)، أما على الصعيد السياسي فإن وجود تمركز السلطة هو ما يمكن تسميته بالمركز وكل ما يدور في فلكها من مراكز وإدارات ومؤسسات ، وحتى في التصور الخلدوني فإن المركز هو قلب الدولة النابض ، بل هو المركز الذي تصدر عنه الروح ، ذلك أن الدولة كما كان يراها ابن خلدون " في مركزها أشد مما يكون في الأطراف والنطاق ، فإذا انتهت إلى النطاق الذي هو الغاية عجزت وأقصرت عما وراءه ؛ شأن الأشعة والأنوار إذا انبعثت إلى المراكز والدوائر المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه " (ابن خلدون، 2001، ص. 192)، ثم إذا دب الضعف والوهن في أوصالها فإنما يبدأ التناقص فيها من جهة الأطراف ويستمر المركز محفوظاً بمشيئة الله إلى أن يتأذن الله بانقراضها أو اندثار أمرها بالجملة " فحينئذ يكون انقراض المركز وإذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنضال بل تضمحل لوقتها ، فإن المركز كالقلب الذي تتبعث منه الروح ، فإذا غلب القلب ومُلك انهزم جميع الأطراف " (ابن خلدون، ص. 193). ويضرب لنا ابن خلدون على ذلك أمثلة من تاريخ

الدول ، فالدولة الرومية بالشام - مثلاً - عندما تعرضت للهزيمة على يد المسلمين في الشام كان مركزها في القسطنطينية ، وبعد الهزيمة تحيزوا إلى هذا المركز ولم يضرهم انتزاع الشام من ملكيتهم ، فلم يزل ملكهم مرتبطاً بها إلى أن أذن الله بزواله ، وكذا الحال في الدولة الفارسية التي مثلت المدائن مركزها ومحورها، ولما أتى المسلمون على المدائن وصارت بحوزتهم اندثر أمر فارس برمته ولم يعد ينفعهم ما بقي في أيدي أطراف ممالكها ، وهو ما يشير إلى أن العلاقة بين المركز والهامش في الدولة الواحدة هي علاقة تكاملية ، ما يعني أن سقوط المركز وتصدهه يؤدي بالضرورة إلى سقوط الهامش أو انهيار الأطراف .

وعلى الصعيد الأدبي فإن أدب الهامش الذي قد يبدو هامشياً في الثقافات الإنسانية قد احتل مكاناً مهماً في السنوات الأخيرة ، إذ العلاقة بين المركز والهامش في الأدب توضح أن هناك العديد من الأصوات المهمشة داخل المجتمعات الإنسانية ، ناهيك على أن فلسفة الحداثة قد كشفت عن أهم ما وقع بها أخطاء ، حتى جاءت فلسفة ما بعد الحداثة محاولة سد الفجوة في نظرتنا للهامشي والمغيب في الفكر الإنساني المشترك .

إن العلاقة بين الهامش والمركز هي علاقة نسبية يشوبها التغيير على الدوام ، فمثلاً لقد كان الهامش موضوعاً هامشياً في الفلسفة ولكن مع كتابات الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو (1926 - 1982) الذي رفض الفينومينولوجيا ، واهتم بكيفية بناء أشكال المعرفة، والموضوعية لدى الإنسان عن طريق مؤسسات متخصصة ، وبشكل خاص اهتم بالانحراف الاجتماعي لدى المجانين والمرضى ، واعتقد أنهم مضطهدون ومحزونون بسبب المعرفة الموافق عليها في الفترة التي يعيشونها(هنتشسون،2007،ص.215).

أما جاك دريدا(1930. 2004) واضع نظرية التحليل في النقد الأدبي، فتشمل طريقته في التحليل الأدبي معرفة كيفية بناء النص لكشف المعاني الخفية والافتراضات التي وضعها الكاتب، حيث تأثر تحليله اللغوي بالفلاسفة الألمان مثل فريدريك نيتشه وادموند هوسرل ومارتن هايدجر واللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (هنتشسون، ص364).

أما الفيلسوف والسينمائي والناقد الأدبي الفرنسي دولوز(1925- 1995)، الذي تمثل فلسفته إلى جانب فلسفة فوكو ودريدا اتجاهاً معاصراً مستقلاً مناهضاً للهيجلية والماركسية والبنوية، فقد وجه اهتمامه لدراسة تاريخ الفلسفة الذي أجرى عليه تأويلات متعددة، وله العديد من المؤلفات المهمة مثل: فلسفة كانط النقدية، نيتشه والفلسفة، منطق المعنى، ما الفلسفة الذي شاركه فيه فليكس غتاري، والتكرار والاختلاف الذي انتقد فيه دولوز جميع الفلسفات التي سعت إلى إلغاء أو التقليل من فكرة الاختلاف.

وعلى ذلك فقد أصبح هذا المفهوم موضوعاً مركزياً، ويمكننا القول إنه اليوم لم نعد نناقش مسائل الفلسفة الأخلاقية والفلسفة السياسية بعيداً عن ما طرحه هذه الفئات التي لحق بها التهميش ، لذلك علينا الإقرار بأنه يجب دراسة الهامش من زاوية الفلسفة الاجتماعية، تلك الفلسفة التي لم تحظ بمباحثها باهتمام المؤسسات الأكاديمية الأوروبية إلا في الجامعات أو المؤسسات الأكاديمية الألمانية ، والسبب في ذلك يعود إلى تطوير

ألمانيا لنوع من الماركسية التي هي الماركسية الأوروبية ، وتميزت بظهور ما يعرف بمدرسة فرانكفورت التي مثلت بدورها ما يعرف بالنظرية النقدية، فالأخيرة استطاعت أن تحرك هذا الموضوع أي موضوع الهامش ، الذي امتد فيما بعد إلى فرنسا وشكّل ما يمكن أن نسميه بما بعد الحداثة ، بحيث نجد ميشيل فوكو وهو ما يهمننا بوصفه فيلسوفاً ما بعد حداثي سيركز على موضوع الهامش، وبهذا التركيز يكون فوكو قد منح القيمة الأكبر للهامشي وعمل من خلال ذلك على فضح آليات المركز ووسائله ، ولئن كانت الفلسفة الراهنة تتصف بعادتها الظاهر لكل تمركز والأيدولوجيات التركيبية الثنائية التي يستخدمها في خنق إمكانات الفكر والتضييق عليها فلا بد أن يكون دورها إعادة الاعتبار للهامش بوصفه قدرة يمكنها إسقاط الوهم الذي يبرر أهمية المركز وضرورته ، ومن الواضح أن فوكو كان يهدف من وراء ذلك إلى التشهير " بالهيمنة المطلقة التي حاول بواسطتها منظرو الفلسفة اليومية - كما يخلو (لميشيل فوكو) أن يعبر بها - أن يؤقلموا العقل مع مطامحهم ومصالحهم حتى يتسنى لهم - وهم ضعفاء حسب نيتشه - بأكاذيبهم الملققة أن يهيمنوا على العالم بواسطة زعمهم للوحدة الصماء للإنسانية " (التركيب، د.ت) ، وبالضرورة فإن ما يمكن أن نستخلصه من هذا الموضوع هو أنه يحيل إلى ظواهر اجتماعية قائمة وإلى وقائع تتجلى فيه من نطلق عليهم تسمية (المنبوذون) ، وهؤلاء المنبوذون في الحقيقة يتخذون أنواعاً مختلفة بحسب الظروف التاريخية ، فمثلاً عندما نتناول كتاب (الجنون) لفوكو نجد أن المجنون قد كان مقصياً ومهمشاً في العصر الكلاسيكي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، لكن في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين سيعتبر المجنون مريضاً عادياً وسيدخل المصحّة ويتم الاعتراف به وبحقوقه ، ومن هنا انحاز ميشيل فوكو إلى تلك الصرخات المكبوتة التي بطش بها العصر الكلاسيكي لكون أصحابها من المغلوبين على أمرهم والضعفاء الذين انتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا منبوذين تحت عسف السلطة القضائية والكنسية ، وعلى ذلك يكون الإقرار بهذا الانحياز هو إقرار بتحول مفهوم الهامش إلى مفهوم مركزي ، إضافة إلى أن مفهوم الهامش يرتبط في حقيقته بمجموعة من المفاهيم ؛ لذلك يمكننا أن نقول إنه يشكل مقاربة لا نستطيع في نظر فوكو أو دريدا أو دولوز أو ليونار أن نقارب الهامش دون منظور المعيار السائد ، لأنه ثمة دائماً نظاماً معيارياً دارجاً وسائداً في المجتمع يقوم على مبدأ القسمة ، فليس ثمة مجتمع في اعتقاد هؤلاء الفلاسفة لا ينهض على ركيزة القسمة بوصفها مبدأ بحيث يجعلوا (س) من الأشياء التي تحتل المركز، و(ص) من الأشياء التي تقع تحت الهامش، ناهيك على أن المعرفة لم تعد تنفرد بتلك الفضيلة التي تتمثل في نشدان الحقيقة والبحث عنها والتماس تموضعاتها من أجل الحقيقة ذاتها ، بل غدت المعرفة متصلة بشكل وثيق بالسلطة؛ وقد أنتجت هذه المعرفة المتصلة بالسلطة صوراً نمطية، تتجلى أكثر هذه الصور النمطية حول المشردين والمهاجرين والعاطلين ، ومن ثم يكون الشيء المشترك بين هذه الدراسات هو محاولة إعادة النظر في ذلك النمط المعياري الذي يتم فرضه على هذه الفئات، ذلك لأن المقصود من هذه التحليلات والدراسات هو إضفاء طابع

النسبية بحيث أن المجتمع لا نعرفه كما يرى دريدا وفوكو إلا بمقابله ومخالفه أو نقيضه ، ومن هنا بالنسبة لنا - كما يرى المفكر الجزائري الزواوي بغورة (د.ت) - أن المجتمع لا نعرفه إلا بالآخر، والآخر هنا يتمثل في الهامش، فنحن صرنا نعرف المجتمع الغربي ومجتمعاتنا انطلاقاً مما يقابلنا أو يغيرنا ، ومن الآخر الذي يختلف عنا ، أي الآخر الذي يمكن أنه نسميه (الهامشي) على سبيل المثال، وهو الهامشي الذي من خلاله يتم إدراك الهوية أو بعبارة أدق ندرك به هويتنا، وهذا الإدراك هو ما يشكل عمق هذا الموضوع بالنسبة لهذه الدراسات الفلسفية ، إذ لم تعد الهوية جوهراً يتميز بالثبات، بل أصبحت عملية بناء وتكوين تسهم فيه مؤسسات الدولة بما تتبنى من سياسات .

وبالتالي فإن القيمة التي يمكن أن تكون من خلال تحليلات الهامش فأنها توضح لنا أولاً واقع مجتمعاتنا التي تبنى على مبدأ القسمة ، وثانياً إمكان ترميم هذه المجتمعات وإصلاح بنيتها ، فأعمال فوكو على سبيل المثال أسهمت بشكل مهم في إصلاح الهامش ، وكما تم القول إصلاح واقع المجنون والمريض وإصلاح المجرم من واقع اهتمامه بالمجرمين والمنحرفين بحيث كان لآلية المعرفة الاستطاعة في فعل ذلك كونها تعترف بذلك الآخر في الهامش ، فهي قادرة على إدخاله إلى المركز وترويضه للعمل على ذلك .

لا يكاد يختلف موقف جيل دولوز عن موقف فوكو ، فقد عمد دولوز إلى تغيير آلية التفكير الفلسفي وإخراجه من سجن الميتافيزيقا والتمركز إلى ساحة الاختلاف المشروع ، مجتراحاً بذلك أفق آخر للفلسفة والفكر، إنه أفق الاختلاف والترحال والخروج عن مسارات التقليد الفلسفي الغربي، وهو ما يمثل انفتاح الفلسفة على الفنون والآداب وغيرها ، وهو انفتاح ليس من السهولة بلوغه دون عقد حوار نقدي مع تاريخ الفلسفة من بدايتها إلى واقعها الراهن ، ولعل الطريقة التي سلكها دولوز في محاكاة تاريخ الفلسفة هي استدراج هذا التاريخ إلى فكر الاختلاف الرامي إلى تبني المفاهيم الفلسفية بمنأى عن منطق التتابع والهوية وعدم التناقض ، وهو ما يعني رفض دولوز لكل أشكال العودة إلى الذات وتمثلات الوعي ، والانسلاخ عن كل أنماط الرجوع إلى الثوابت والأصول الفكرية الكلاسيكية، نقول قد " حلّ الاختلاف والتكرار محل الـ (هو هو) المتطابق ، والسلب ، والهوية ، والتناقض ، لأن الاختلاف لا يتضمن السلب ، ويفلت من الذهاب حتى التناقض إلا بقدر ما يستمر إخضاعه للـ (هو هو) " (دولوز، 2009، ص.39) إن الاختلاف وفقاً لدولوز هو أسلوب حياة وفلسفة مستقاة من الحياة التي نقع في عمقها ، فلسفة تهشم النظرة التقليدية التي تعالي فيها التفكير عن الواقع ، وخلق لنفسه مركزاً بعيداً عن الأطراف، لكن الاختلاف في نظره هو الجذر والأصل ، وليس ثمة مجال في الاختلاف للمثاليات المتعالية أو لتعالي الفكر، وكل ما يتعرض له فكرنا لا يكون إلا على جهة الاختلاف ، وعلى ذلك فإن الاختلاف هو ما يشكل بنية تفكيرنا في العالم ، وهو المكان الذي تُبدع فيه المعاني المختلفة والقيم الجديدة .

لقد قامت فلسفة دولوز على فكرة المحايثة ، وهذه الأخيرة هي فلسفة للخارج وليس للداخل ، أي فلسفة تتخطى أسوار الميتافيزيقا المتلهلة لتعيد الاهتمام بالحدث والهامش ، بالرغم أنه ليس من السهل التفكير في الحدث والهامشي لأن التفكير في الحدث هو تفكير مؤسس على اللحظي والراهن ، وهو التفكير الذي يفتح باب الاختلاف لمواجهة قضايا الواقع الحقيقية التي تمليها فلسفة الاختلاف على قضايا الـ (هنا) و (الآن) بما هي قضايا اختلاف وتكرار ، ومن هنا يبدو أن دولوز يحدد الأدوار للفلسفة فهي ليست في حقيقتها سوى تأريخاً للهوامش وترحالاً دائماً للفكر وليس سكوناً أو جموداً ، كما أن دولوز يضع على عاتق الفيلسوف مهمة صعبة تتمثل في خاصية الصيرورة والتهمك والسخرية والاستهزاء ، حتى يتمكن على الدوام من البحث عن الثورة حتى وإن كانت مجرد حلم لا يتحقق إلا بخيانة ذاته ، ومن جهة أخرى لا يحتكر دولوز صفة الفيلسوف على العنصر الذكوري ، بل كان يعتقد أن المرأة قادرة بإمكاناتها على أن تصبح فيلسوفة ، ولعل وجود فيلسوفات مثل حنا أرندت وروزا لوكسمبورغ وجوليا كريستيفا خير دليل على قدرة المرأة على تحمل مهامها الفلسفية ، ولكنه يشترط بصفة أساسية مهمة خاصة لكل منهما (الفلاسفة والفيلسوفات) لا يمكن إسقاطها بأي حال من الأحوال " وهي المقاومة ، والفيلسوف المعاصر إذا ما أراد أن يكون فيلسوفاً حقيقياً لا بد أن يقاوم الحاضر وما فيه من انحطاط وعار ، ويفضح كل التواطؤات المخزية التي يتورط فيها رواد حقوق الإنسان لاعتدائهم على حقوق الشعوب وتقويتهم في سيادة الدول " (الخويلدي، 2009، ص195).

وليس بعيداً عن فوكو ودولوز نجد الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) الذي لعب دوراً محورياً في تقويض مفهوم المركز وإعطاء حق مهم لمفهوم الهامش عبر فلسفته التفكيكية التي تعنى دون أدنى شك بالكشف عن المعنى والبحث عنه خارج مركزية العقل الصارم التي أضحت واحدة من أهم معطيات ما بعد الحداثة ، وما يمكن توضيحه هنا أن دريدا قد عدّ لفلسفته إطاراً يبحث من خلاله عن المعنى اللا مركزي للعقلانية الجديدة التي أنتجت فلسفات القرن العشرين وخلقتها علوم العصر سائراً في هذا على نهج هايدغر وباشلار وفوكو وميرلوبونتي وغيرهم ، وما يجب تأكيده هو أن دريدا ذهب بتوجهه الجديد للفلسفة لفتح " آفاق الفكر نحو النقد الجذري وتجاوز حدود الظنون والأفكار السائدة ، فبدون حركية النقد والتقويض والتشهير والتهديم لا يمكن للفلسفة أن تكون فعالة ومبدعة " (التريكي.د.ت) .

يرى دريدا في أحد أبحاثه التي قدمها في عام 1966 بعنوان (البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية) في ندوة بجامعة هوبكنز أن كل فكرة للبنية كانت تفترض دائماً مركزاً للمعنى يحكمها بالرغم من أنه ليس موضوعاً للتحليل البنيوي ، واعتقد دريدا أن البشر " يرغبون في مركز لأن المركز يضمن لهم الوجود من حيث هو حضور ، فنحن نفكر - على سبيل المثال - في حياتنا العقلية والمادية على أنها مرتكزة حول " أنا " ، وهذه الأنا هي مبدأ الوحدة الذي تقوم عليه بنية كل ما يدور في فضاءها ، غير أن نظريات فرويد قد قوضت تماماً هذا اليقين الميتافيزيقي بالكشف عن انقسام في الذات بين الشعور واللاشعور " (سلدن، 1998).

ص.135) وقد عبر الفكر الغربي عن المبادئ المركزية بألفاظ كثير (الجوهر والحقيقة ، البداية والنهاية ، الغاية والوعي ، الوجود والماهية ... إلخ)، ويرى دريدا في تشريحه للعقل الغربي أنه يجب محاربة كل ما من شأنه أن يعيد إنتاج المركز وضمان الحضور ، فقد يؤدي في نظره أن إبطال أي مفهوم من المفاهيم الثنائية السابقة قد يجرنا إلى الوقوع في شرك المصطلحات التي يعتمد عليها هذا المفهوم مما يؤدي إلى استحداث مركز جديد .

ويذهب دريدا في كتابه " دراسة الكتابة " إلى أن مركزية اللوغوس أو الكلمة بوصفها منطوقة قد مثلت تغييباً للكتابة وتهميشاً لدورها الفاعل ، وأن إعلاء الصوت أو الكلام على الكتابة هو سمة أصيلة لمركزية اللوغوس كون الصوت هو الأقرب إلى تجسيد الفكر الخالص ، وهذا ما دعا العقلية الغربية إلى أن تدعم الصوت وتجعله مركزاً في حين أنها همشت الكتابة ، وقد عمل دريدا على مواجهة هذه التراتبية التي عمل على أساسها الفكر الغربي بما أسماه (العلاقة التبادلية) التي يغدو معها الهامش مركزاً والمركز هامشاً من استخدامه لمصطلح (التكملة) الذي " يشير إلى الإكمال والاستبدال (إحلال محل) مما يعني أن الكتابة لا تكمل فقط بل تحل (محل) أيضاً ، لأن الكلام مكتوب دائماً . إن كل نشاط إنساني ينطوي على (التكملة) بهذا المعنى (إضافة - استبدال) " (سلدن، ص138) ، وما يسعى إليه دريدا في هذا السياق هو هدم كل ما هو ما ورائي ميتافيزيقي يقوم على الثنائيات الضدية التي تتراتب وجودياً بحيث يتموضع طرفها القوي في شكل الفوقية والتميز بينما يبقى الطرف الأضعف في سياق الدونية والتغييب والتهميش، وهذا ما يشرع للطرف الأول ممارسة استبداده وصلفه ضد الآخر بادعائه لامتلاك الحقيقة المطلقة .

إن ما يريد دريدا إيصالنا إليه هو أنه بدون الهامش لا وجود لأهمية الطرف الأول الذي هو المركز ، وهذا في حقيقته ما يلغي صحة التراتبية التي اعتمد عليها العقل الغربي وسجنها داخل دائرة الميتافيزيقا رداً من الزمن حتى تحولت إلى ازدواجات وثنائيات وثوقية دوغمائية يسعى التفكيك بوصفه فلسفة استراتيجية وفلسفة دهاء وبراعة إلى فحصها داخل النصوص والموضوعات آملاً في كسر منطق الثنائيات " داخل / خارج ، دال / مدلول ، واقع / مثال لإقرار حقيقة المتردد اللا يقيني في عبارة لا (هذا) ولا (ذاك) [....] لا يعني التفكيك الذي يمارسه دريدا مطلقاً الهدم ، وإنما يتضمن أيضاً فعل البناء ، فهو بالأحرى تفكيك وحدة ثابتة إلى عناصرها ووحداتها المؤسسة لها لمعرفة بنيتها ولمراقبة وظيفتها، فالتفكيك يقتضي التعدد والتشتت بإزاحة مركزية توزع المراكز " (الزين، 2015، ص207) ، ويمضي دريدا في رفضه للثنائيات (مركز / هامش ، مادة / فكر ، مسيطر / مسيطر) معتبراً أنها ثنائيات أسطورية لا تمثل لحقيقة الاختلاف وتخالف بدورها طبيعة التداخل والتماهي والتطابق " فبينما كانت حلقة المطابقة تزعم وجود (مركز) لوغوس ، حضور ، نظام ، كوجيتو يقضي (الهامش) الخرافة ، الجنون ، اللا شعور ، الغياب ، التبعضر فإنه يجعل الهامش مركزاً سيرتد المركز هامشاً ، فهو مركز ولا مركز لأنه " هامش " وهو هامش ولا هامش لأنه " مركز " ، فهو

في آن واحد (مركز وهامش)، وفي اللحظة ذاتها (لا مركز ولا هامش) " (الزين، ص208، 209) ، ومن هنا يمكن القول إن تفكيكية دريدا ليست سوى محاولة جادة لموازنة التحولات الفلسفية والأدبية من أجل نزع القداسة عن المعنى الثابت وفتح المجال واسعاً لتبادل الأدوار والمراكز بين الأنا والآخر .

ثانياً: تمثلات الحالة الليبية من منظور فلسفي ثقافي

تحت هذا العنوان يمكننا الإجابة بسهولة عن تساؤل غالباً ما يُطرح داخل أروقة المؤسسات الأكاديمية حول ما إذا كان هناك ما يعرف بنظرية الهامش والمركز في ليبيا ، فمن خلال الاطلاع والدراسة واستقصاء الخبرة يمكن القول إن التحدث عن طبيعة العلاقة بين الهامش والمركز ضمن أطر الحالة الليبية هو أمر شائك ومعقد شأنه في ذلك شأن الحديث عن بقية المجتمعات الأخرى حتى التي تزعم التمدن والتطور والديمقراطية والانفتاح على الآخر ، والحالة الليبية لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال استثناء عن الحالات المشابهة لها أو حتى المغايرة ، فهي حالة مصابة هي الأخرى بتوترات العلاقة بين المركزي والهامشي فيما لو جرى النظر إلى حالاتها وتشخيصاتها وتشريحاتها الأيديولوجية والمجتمعية ، وهو ما يدفع إلى ظهور فلسفات مضادة وأفكار متمردة تدفع القوى المهمشة بقوة إلى أن تحتل المركز ، بل وتعمل على فضح كل أشكال الزيف والقمع والقهر، ومحاولة رد الاعتبار للآخر المغيب والمهمش وتحديد هويته رغم جوهرية الاختلاف .

أما عن تمثلات الحالة فهي تتجلى في كل مناحي الحياة المجتمعية للإنسان من القاعدة إلى الهرم ، من سيكولوجية الفرد إلى الأسرة إلى عالم الحياة المعيش بتفاصيله الدقيقة والعميقة مروراً بالواقع المؤسسي سواءً أكان في شكله الاقتصادي أو السياسي أو المعرفي أو الثقافي أو الاجتماعي ، هذا الواقع الذي غالباً ما يتم وصفه بعالم اللا تكافؤ أو عالم اللا تساوي ، العالم الذي يسود فيه التهميش المقنن ، وتغليب قوة المركز على الهامش في غياب فلسفة مجتمعية تنتقد الفلسفة الأساسية والراديكالية ، وتفتح مجالاً لروح الفلسفة الراهنة كونها تشتمل على تيارات يقظة تعد تمثيلاً قوياً لمرحلة ما بعد الحداثة ، وبعبارة أخرى نحن بحاجة إلى فلسفة تختلف روحها ومنطقها عن الروح والمنطق المعهودين في الفلسفة الحديثة ، فلسفة تعمل على " إثارة تساؤلات مستجدة والانشغال بأشكال مستجدة من الحوار ومناقشة موضوعات مستجدة مع أطراف جدد " (ناريان وهاردينج، 2017، ص10).

وفي الواقع إن مسألة الاستحواد والاستئثار بالامتيازات والعمل على ديمومتها وزيادة مستوياتها ومضاعفة نتائجها تجعل من الأفراد أكثر استحواداً على طريقة تفكير الناس من خلال السيطرة على أفكارهم ، ورسم نموذج معين للتفكير، يتعذر الخروج منه أو على الأقل تركه لصالح نموذج آخر، وتبلغ درجة الاستحواد والتملك إلى الحد الذي لا يمكن معه القيام بأي فعل قد يؤدي إلى التغيير الجذري والعميق، فالتغيير الجذري في حقيقته هو مخاض صريح لميلاد خصم يعادي ما هو قائم والعمل على إزاحته أو إسقاطه، وإذا ما تمت الإطاحة بفئة أو طائفة مسيطرة فإنه من المحتم سيلحق بها ضرراً واسعاً، ولعلنا هنا لا نغفل الدور الذي

ترسخه الأيديولوجيا وهو دور يقوم في جوهره على إيهام الناس بتقديم صورة جميلة قائمة على أفضل ما يكون باعتبارها الأفضل بالنسبة لهم، وحين يتم الكشف عن وجود هشاشة في بنية الهيكلية يحدث التصادم مع المؤسسات المؤدلجة أو التي تروج لفكرها الأيديولوجي داخل البلد، ولعل إحدى إشكاليات الأيديولوجيا هو أن أولئك الناس أنفسهم الذين يقومون بالثورات هم أنفسهم الذين تشربوا الأيديولوجيا بشكل غير واعٍ، فيسهمون في تمرير الأيديولوجيا السائدة دون النظر إلى حقيقة الصراع وجوهره، وهذا يعني أن المطروح في الديالكتيكية الهامش والمركز هو مشكلة الهيكلية وهو ما ينطبق على الحالة الليبية براهنيتها التي نأمل ألا تكون قد وصلت إلى نهاية مطافها فتكون بالتالي عاجزة كلياً عن إعادة إنتاج ذاتها .

ومن المؤكد أن هذه الديالكتيكية بين المركز والهامش التي نعيش بين تروسها تؤثر على نحو مباشر وواع على المجتمعات البشرية بشكل قد يؤدي إلى تفتت نسيجها الثقافي والاجتماعي والسياسي وإمكاناتها الاقتصادية ، وذلك لاعتبار مهم يتمثل في كون الصراع الديالكتيكي بينهما يقع بين نموذجين متباينين في المجتمع :

- **نموذج المركز** : وهو الذي يمتلك مقومات السلطة ومخصصات الثروة والاستيلاء على الموارد سواء منها البشرية أو الطبيعية وكذلك الخدمية .

- **نموذج الهامش** : وهو النموذج الذي يشككي قلة الإمكانيات وفقر الموارد وفقر الحاجة ويعاني المرض والقهر والظلم والاستعباد والتهميش الاجتماعي .
ونذكر من هذه التأثيرات :

- **انقسامات سياسية** : وليس بالضرورة أن تكون نتيجة للصراع بين المركزي والهامشي ، فقد تكون بين ثقلين مركزيين يمتلك كل منهما المقومات التي أسلفنا ذكرها ، ناهيك عن طبيعة اللبلة السياسية والمعارضة الشديدة التي يخلقها التفرد بالسلطة والنفوذ وتهميش الآخر، والمطالبة بالحرية والعدالة المغيبة ، مما ينتج عنه مزيداً من الصراعات والنزاعات التي قد تستغلها أطراف أخرى وتعمل على تغذيتها وتمويلها، وفي نهاية المطاف سيكون الخسران الأكبر للمجتمع ومقوماته وإمكاناته وثرواته .

- **انهيارات اقتصادية** : يؤدي الانقسام السياسي وشيوع ثقافة الفساد والتدخلات الخارجية المريبة إلى زيادة الصراع بين المركزي والهامشي وهو ما يعكس سلباً على الجانب الاقتصادي ، ويتمثل هذا الانعكاس في زيادة تهميش المناطق البعيدة عن المركز ، كذلك انعدام المساواة وزيادة معدل العوز والفقر وتغييب العدالة الاجتماعية في التوزيع ، بينما تستقطب قوة المركز كل الموارد وتوجه إمكاناتها نحو الفرص الأوسع والأشمل للاستثمار طبقاً لمصلحتها الخاصة .

- **تشظيات اجتماعية** : تؤدي فكرة استحواذ المركز على كل الفرص والإمكانات إلى احتداد شدة الخلاف بين المركز المسيطر والهامش المسيطر عليه ، فالشعور بالتهميش سواءً أكان عقدياً أو اجتماعياً يؤدي

بالضرورة إلى تفاقم التوترات الاجتماعية والاحتجاجات والانتقادات التي من شأنها أن تشظي المجتمع إلى كتل من الآراء والتوجهات والانتماءات التي تعود بالوبال على مستقبله .

- **تحديات ثقافية :** يخلق الصراع بين الهامش والمركز في جدليته المتواصلة حالة من التحديات على المستوى الثقافي ، ما يجعل حالة التحول الثقافي وتطويره في حالة من الجمود والركود بسبب السيطرة المؤدلجة لنمط الحياة الثقافية في المجتمع ، وهذا الركود هو ما يمنع حركة الصيرورة المفهومية المتواصلة كما يصفها الفيلسوف الفرنسي (جيل دولوز) ، هذه الصيرورة التي تمثل في جوهرها حركية متواصلة للمعنى وانفتاحاً على الهوامش وثورة على المركز .

- **إخفاقات تنموية :** وتظهر بشكل جلي وواضح نتيجة استحواذ المركز على رأس المال المخصص واستثماره في كل ما يخدم صالحه الخاص وهذا بدوره يؤدي إلى حرمان المناطق المهمشة من أبسط الحقوق والخدمات وتوفير فرص العمل ، الأمر الذي سيكون مستقزاً للطبقة المهمشة مما سيدفعها لاحقاً إلى التمرد على سلطة المركز ومن ثم إزاحته .

إن ما جرى في السنوات القليلة الماضية في أوطان عدة كفيل بأن يوضح لنا طبيعة الصراع بين المركز والهامش من جهة ، ويوضح من جهة أخرى رغم قدرة المركز وما يمتلك من أدوات إلا أن تأثير الهامش كان ملموساً برغم محاولات إفشاله وحسر مده ، وقد أعاد تحرك الهامش نحو المركز توزيع القوى بينهما بشكل جعل الهامش يكتسب فعالية لم تكن معهودة من قبل ، ولو أخذنا مثلاً بسيطاً عن مواقع التواصل الاجتماعي التي غدت اليوم أداة فعالة يمتلكها الهامش بوصفها سلاحاً ضد المركز ، ففي السنوات العشر الأخيرة اتجهت القاعدة الشعبية العريضة التي تعيش ظروفاً هامشية مقبلة من الجمهور العربي عموماً والليبي على وجه الخصوص إلى التخلي عن إذاعات الإعلام الرسمي الموجه من طرف المركز والقنوات الفضائية لمؤسساته إلى منصات إلكترونية بديلة وفضاءات افتراضية شكّلت خطراً كبيراً وتحدياً مهماً لسلطة المركز وغدت بديلاً لإعلامه، وهو ما يعني استحواذ الهامش على هذا المجال الاتصالي الذي لم يدرك المركز خطورته بيد الهامش إلا لاحقاً ، ومن هنا يمكن القول إن معادلة الهامش والمركز تسجل تحولاً عميقاً في طبيعة العلاقة بينهما بشكل يلفت الانتباه إلى قدرة القاعدة الجماهيرية العريضة أو التي نسميها (هامش) على التأثير في المركز على نحو يخلّ بالتوازن الضروري للدولة والمجتمع ، ومجمل القول فإنه من أجل تجاوز هذا الخلل والحفاظ على التوازن كان لا بدّ من ضرورة أن يكون المركز على مسافة قريبة من الهامش بشكل يضمن توازن المجتمع وسلامة القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للدولة .

خاتمة

ثمة أمر لا خلاف عليه هو أن كل المجتمعات سواءً أكانت المتقدمة أم المتخلفة، الصناعية أم الاستهلاكية تعاني من تصدعات على مستوى العلاقة بين المركز والهامش ، وقد أدرك العديد من الفلاسفة والمفكرين

خطورة هذا الأمر على بنية المجتمع وسياقاته التاريخية ، فأدلوها بدلهم في هذا الصدد موقنين بضرورة تجاوز هذا التصدع بأساليب متعددة أهمها أن يكون المركز أكثر انفتاحاً على الهامش ، وأكثر استيعاباً لمتطلباته وضروراته، ويظهر من خلال تشريحنا البسيط لطبيعة العلاقة بين الهامش والمركز مدى الأثر الذي يتركه اختلافهما على البنية السليمة للمجتمع والدولة ، ولذا لا بد لكي يتم تجنب هذه الآثار والندوب التي تتركها سلطة المركز على جسد الهامش من أن تتاح الفرص للهامش للتعبير عن احتياجاته والمطالبة بحقوقه المغتصبة ، ولا بدّ للمركز أن يعي جيداً أن زيادة الضغط والتحكم والسيطرة توظف - عاجلاً أم آجلاً - الوعي المهمش من سباته ، وأن التعددية والاختلاف والانفتاح على الآخر المهمش والمغيب أمرٌ لا مناص من قبوله للحيلولة دون حدوث الصراع .

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن خلدون ، عبدالرحمن. (2001) المقدمة (أحمد الزعبي، اعتناء ودراسة)، طرابلس، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- 2- التريكي، فتحي. (د.ت.). نقد فلسفة المركز عند دولوز وديدا وفوكو. أروقة للثقافة الفرنسية المعاصرة. <https://arwiqaportiques.com>
- 3- بغورة، الزواوي. (2023). أدب الهامش (مقاربة مصطلحية وتساؤلات أديوية - ثقافية) [محاضرة مرئية]. يوتيوب. https://youtu.be/HDUteYMYg5c?si=yqX1ev6DJxIURL_8
- 4- تبرماسين عبدالرحمن، والباح دليلة. (2012). المركز والهامش (مفهومه، أنواعه، جذوره). مجلة قراءات، (1)4، 297-313. <https://asjp.cerist.dz/en/article/24409>
- 5- الخويلدي، زهير. (2009). معانٍ فلسفية، دمشق، دار الفرقد.
- 6- دولوز ، جيل. (2009). التكرار والاختلاف، ترجمة، وفاء شعبان ، المنظمة العربية للترجمة. (الكتاب الأصلي نشر في 1968).
- 7- الزين، محمد . (2015). تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، بيروت، دار ضفاف.
- 8- سلدن ، رامان. (1998). النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، مترجم،/ القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر.
- 9- ناريمان، أومان، هاردينج، ساندر. (2017). نقض مركزية المركز ، ترجمة، يمنى طريف الخولي ، القاهرة، مؤسسة هنداوي.